

## الحقول الدلالية في شعر محمد جربوعة

### Semantic Fields in the Poetry of Mohamed Djerboua

خليل كوربالي \*

جامعة الجزائر 2، الجزائر، khalil.kourbali@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/09؛ تاريخ القبول: 2024/12/08؛ تاريخ النشر: 2025/06/07

#### ملخص:

يسعى هذا البحث إلى استجلاء تجربة الشاعر الجزائري "محمد جربوعة" محورا لتطبيق مفهوم نظرية الحقول الدلالية كأداة أساسية في فهم المعاني وكشف الأبعاد الدالة في نصوصه الشعرية، التي نَهَجَ فيها نهج الشعراء القدامى، بالأخصّ الشاعر "كعب بن زهير". إذ ذاك يُركّز البحث -عبر المنهج الوصفي التحليلي- على فهم الكلمة ومعانيها واستخداماتها في سياقات مُختلفة، ومعرفة مدى تنوع الحقول وأثر العلاقات الدلالية في تجليات بناء المعنى في شعره.

كلمات مفتاحية: الشعر الجزائري المعاصر؛ الحقل الدلالي؛ المعجم الشعري؛ محمد جربوعة.

#### Abstract:

This study aims to illuminate the experience of the Algerian poet "Mohamed Djerboua" by applying the concept of semantic field theory as a fundamental tool for understanding meanings and revealing the semantic dimensions in his poetic texts, which follow the tradition of ancient poets, particularly the poet "Ka'b Ibn Zuhair." Thus, the research focuses—through a descriptive and analytical approach—on understanding the word, its meanings, and its usages in different contexts, as well as the diversity of fields and the impact of meaning in his poetry.

**Keywords:** Contemporary Algerian Poetry; Semantic Field; Poetic Dictionary; Mohamed Djerboua.

### المقدمة:

لقد أسس الشاعر الجزائري "محمد جربوعة" اسما ومكانة لنفسه وسط الشعراء الجزائريين، من خلال ما قدمه من دواوين وقصائد شعرية، ومن بين هذه الأعمال الأدبية الفنية نجد: "اللوح"، "ممن وقع هذا الزرّ الأحمر"، "ثم سكّت"، وما تبعها من أعمال شعرية لفتت انتباه القراء والنقاد، ولا تزال بحاجة إلى قراءات ودراسات جادة تتطلب الغوص في الأعمال الفنية للشاعر "محمد جربوعة".

ولذلك ارتأينا أن نستنطق بعض قصائد الشاعر، بأن نركّز على إحدى الجوانب المهمة في تشكيل الدلالة وبناء المعنى، ألا وهي محاولة الإبحار في لغة الشاعر وتوظيفه للحقول الدلالية، وكيفية تحويلها لخدمة المعاني الخاصة التي تختلج كنه الشاعر ولُبّه، وكيفية إعادة صياغة دواله ومدلولاته عن طريق تركيز الاهتمام على مستويات الدلالة وطرائق تولّد المعاني. وهذا يقودنا إلى السؤال المطروح: كيف وظّف الشاعر الحقول الدلالية بحيث جعلها طيّعة في قصائده؟ كيف نوع الشاعر الألفاظ التي تصبّ في قالب دلالي واحد؟ وما هي سمات البنى الدلالية المميّزة للنصّ الشعري عند "محمد جربوعة"؟

### مفهوم الحقل الدلالي:

يندرج الحقل الدلالي ضمن علم الدلالة، وتندرج هذه الأخيرة ضمن اللسانيات، شأنه شأن علم النحو والصّرف، فحسبما يعرفه بعضهم إلى أنّه "العِلْم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللّغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشّروط الواجب توافرها في الرّمز حتّى يكون قادرا على حمل المعنى"<sup>(1)</sup>. وقد جاء تعريف للحقول الدلالية عند "جون ليونز" إذ يقول: "مجموعة جُزئية لمفردات اللّغة"<sup>(2)</sup>؛ فعلم الدلالة يهتمّ بالمعنى من خلال دراسة الرّموز ونظامها خارج إطار اللّغة، من خلال علاقاتها التّشابكية التّرابطية التي من خلالها يتولّد المعنى، أي علاقة الدّال بمدلوله، والتي فيما بعد تتحقّق

(1) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط5، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998، ص 11.

(2) فريد عوض حيدر: علم الدلالة، دراسة نظرية وتطبيقية، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2005، ص 174.

القيمة الدلالية لكل وحدة معجمية، لتصُبَّ مع بعضها في قوالب أو حقول معجمية مترابطة تخدم معنى واحداً.

وتتألف نظرية الحقول الدلالية من عنصَين في عملية تصنيف المادة اللغوية، أولاً تقسيم الألفاظ إلى مجموعات دلالية، وثانياً تحديد دلالة اللفظة داخل كل مجموعة من حيث درجة القُرب بينها وبين الألفاظ الأخرى، إذ أن فكرة الحقول الدلالية لا تُعنى فقط بعميلة حصر المفردات التي لها صلة بمفهوم مُعَيَّن، بل زيادة على ذلك تُحاول ضبط المعاني بين المفردات، أي ما يربط المفردة بمفردات أخرى، والكشف عن مختلف الصِّلات بينها ضمن حقلٍ مُعَيَّن<sup>(1)</sup>.

وبناء على ما تقدّم فإنّ نظرية الحقول الدلالية "تري أن المعاني لا توجد مُنعزلة الواحدة تلو الأخرى في الذّهن، ولإدراكها لا بدّ من ربط كل معنى منها بمعنى أو معانٍ أخرى (...)، فلفظ "رَجُل" لا نَعْقِلُه إلّا بإضافته إلى "امرأة"، ولفظ "حار" لا يُفْهَم إلّا بمقارنته بـ "بارد"، وهكذا".<sup>(2)</sup>

ويمكن القول بأنّ الحقل الدلاليّ هو "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضّع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية، فهي تخضع تحت المصطلح العام "لون"، وتضمُّ ألفاظاً، مثل: أحمر، أصفر، أخضر، أبيض".<sup>(3)</sup>

وسنحاول خلال هذا المقال الوقوف عند الحقول الدلالية في تجربة الشّاعر الجزائريّ "محمد جربوعة"، وسننتقي من أشعاره ما له إبراز لغة الشّاعر ومعجمه وكيفية انتقائه للألفاظ وحسن تخييره لها وتوظيفها في متنه شعره.

### الحقول الدلالية في شعر محمد جربوعة:

نقصد بالحقل الدلالي مجموعة الألفاظ التي ترتبط فيما بينها دلالياً فالحقل الدلالي

(1) ينظر: خميس فزاع عمير: توظيف الحقل الدلالي في البيان القرآني (الوجه الإنساني نموذجاً)، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، ع7، السنة الثالثة، 2012، ص 150.

(2) أحمد عزوز: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 2002، ص 13.

(3) حازم علي كمال الدين: علم الدلالة المقارن، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2007، ص 65.

(Semanticfield) أو (Lescicalfield)، هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتُوضَع عادة تحت لفظ عام يجمعها<sup>(1)</sup>. والمعنى هو "الأساس الذي تقوم عليه علم الدلالة، فمعنى الكلمة والجملة هو الذي يخضع للتحليل الدقيق. وسؤالنا عن المعنى ليس البحث عنه كيانا مُستقلاً أو كيانا تمتلكه الكلمات، أي كيف تكون هذه الكلمات والجملة ذوات معنى"<sup>(2)</sup>. والهدف منها هو جمع الكلمات الخاصة في حقل معين، والكشف عن صلاتها ببعضها بعض، وعن صلاتها بالمصطلح العام<sup>(3)</sup>. ثم معرفة أي نوع من الألفاظ هو الغالب فيدرس الناقد أيضاً طبيعة هذه الألفاظ وما تُمثِّله من انزياحات في المعنى<sup>(4)</sup>.

فنظرية الحقول الدلالية هي الطريقة الأكثر حداثة في علم الدلالة، فهي لا تسعى إلى تحديد البنية الداخلية لمدلول المونيمات (الكلمات) فحسب، وإنما إلى الكشف عن وحدة أخرى تسمح لنا بالتأكيد أن هناك قرابة دلالية بين مدلولات عدد معين من المونيمات<sup>(5)</sup>.

وفي شعر "محمد جربوعة" مجموعة ألفاظ مثَّلت خلاصة تجاربه في الحياة، امتدَّت من نشأته وتدينه وثقافته المختلفة، ثم ترحاله إلى بلدان عربية. وما يُضاف إليها من مختلف تجاربه واحتكاكه بثقافات مختلفة عن ثقافة الأم، ليجعل الشاعر من اللفظ عنواناً له يلوّن به شعره وحياته وعلى اعتبار هذه الألفاظ ستم دراسة الحقول الدلالية.

### الحقل الديني:

يُعتبر "محمد جربوعة" من الذين أسَّسوا المدرسة الكعبية في الشعر العربي، التي تحذو حذو كتابات الشاعر "كعب بن زهير"، وهو من الذين وضعوا الأسس الجمالية والفنية للمديح النبوي، فنجد الشاعر "محمد جربوعة" من المتأثرين بالثقافة الدينية، ولا تكاد تخلو كتاباته الشعرية من الألفاظ المتصلة بالدين الإسلامي وبالسنة النبوية

(1) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 79.

(2) علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، ط1، بغداد، العراق، 1986، ص 91.

(3) ينظر: عهود عبد الواحد، الصور المدنية، دراسة أسلوبية، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، عمان، الأردن، 1999، ص 08.

(4) إبراهيم خليل: في النقد والنقد الألسني، عمان، 2002، ص 155.

(5) منقور عبد الجليل: علم الدلالة، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص 83، 84.

الشَّريفة، فَرَأَاهُ يَحُثُّ وَيُصِرُّ عَلَى آتِبَاعِ هُدَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَالِدِّفَاعِ عَنْهُ وَعَنْ سُنَّتِهِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ.

ومن المواضع التي نجد فيها الشَّاعر "محمد جربوعة" يوظف الألفاظ الدَّينية قوله:

فِي إِحْفَافِ السَّرِيرِ  
وَيَحْكِي لَهَا  
عَنْ نَبِيٍّ  
أَتَاهُ صَحَابِيُّهُ لِيَقُولَ لَهُ:  
سَوْفَ أَشْتَاقُ يَا سَيِّدِي  
فَيَقُولُ لَهُ"  
... سَوْفَ يَجْمَعُنَا الْحُبُّ  
عِنْدَ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ  
فَتُغْمَضُ فِي وَجْهِهَا نَجْمَتَيْنِ  
وَيَكْسُو الْمُحْيَا الْبَرِيءَ السُّرُورِ  
يَجَنِّهَا (جزء) عَمَّ  
وَتَحْفَظُهُ  
وَهِيَ بِنْتُ ثَلَاثِ سِنِينَ  
وَيَحْلِفُ وَالِدُهَا أَنَّهُ رَوْحُهَا  
كَمْ تُحِبُّ (الضُّحَى .. سَيِّحَ اسْمَ)  
وَكَمْ تَعَشَّقُ (الرَّزْلَةَ)  
طِفْلَةً مُذْهَلَةً<sup>(1)</sup>

"محمد جربوعة" يهتم بالتَّربية الدَّينية للأطفال وبالتَّنشئة الصَّحيحة، من خلال حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ والاهتمام بكلِّ ما ورد فيه، كحِفْظِ جزء عَمَّ وحِفْظِ سُورَةِ الضُّحَى وسُورَةِ سَيِّحٍ وَالرَّزْلَةَ ... وَهِيَ بِنْتُ ثَلَاثِ سِنِينَ. وَمِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَدَلُّ عَلَى وَلَعِهَا بِحِفْظِ الْقُرْآنِ مِنْذُ الصَّغَرِ (يَجَنِّهَا، تَحْفَظُهُ، رَوْحُهَا، تُحِبُّ، تَعَشَّقُ).

ونراه أيضا في مقطع آخر في إحدى قصائده يدعو ويصِرُّ على قيام اللَّيْلِ، وَهُنَا يَرْمِي

(1) محمد جربوعة: اللّوح، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص 17، 18.

إلى وجوب إحياء ليلة القدر كاملة حتى الفجر، يقول:

|                                             |                                                          |
|---------------------------------------------|----------------------------------------------------------|
| صُفِّي لها رَجَلَيْكَ .. قُومِي رَتْلِي     | مِمَّا تَيْسَّرَ مِنْ أَوَاخِرِ (يوسف)                   |
| وتبسَّي في كلِّ رُبْعٍ بِسَمَةِ             | لِينَالَ ثَغْرُكَ أَجْرَهُ، ثُمَّ اكْتَفِي               |
| وَتَزْعُرِي عِنْدَ (الطَّوَاسِينِ) الَّتِي  | إِنْ جِئْتَهَا لِابَدٍّ مِنْ أَنْ تَذُرْفِي              |
| لِابَّاسٍ بِالْمَنْدِيلِ .. لَكِنْ حَاذِرِي | أَنْ تُغْمِضِي الْعَيْنَيْنِ أَوْ أَنْ تَطْرِفِي         |
| فَإِذَا بَلَغْتَ (الفجر)، أَلْقِي نَظْرَةً  | أَصْنِي بِحَسِّ الْعَابِدَاتِ الْمُرْهَفِ <sup>(1)</sup> |

يذكرنا الشاعر في هذه المقطوعة بليالي رمضان الكريم، وإحياء ليلاليه المباركة، إذ يبدأ بالاستعداد لإحياء ليلة القدر، بتسوية الصفوف وقراءة سورة "يوسف" بخشوع، وهنا يركّز الشاعر على الهدوء والراحة النفسية، والتزعزع عند ترتيل السور من الطواسين، ثم مُناجاة الخالق عز وجل بذرف الدُموع وقراءة القرآن حتى الفجر. وما يلفت الانتباه أنَّ الشاعر يُورد في المقطوعة أسماء السور القرآنية مع مُراعاة ترتيبها الوارد في المصحف الشريف. وهنا تجدر الإشارة أنَّ الشاعر ذكر حقلا من القرآن الكريم، وتمثّل في الكلمات: (صُفِّي، رَتْلِي، يوسف، الأجر، الطواسين، الفجر، العابدات).

### حقل الإنسان:

جعل "محمد جربوعة" للإنسان حضورا في أشعاره، حيث تغنّى بأعضاء الإنسان الدّاخلية وحتى الخارجية من رأس وأذن وأطراف ... إلخ، خاصّة وهو يعتبر أنَّ الإنسان هو المخلوق الذي خصّه الله بالصفات الحُسنَى، حيث ربط الشاعر الإنسان بالأخلاق وصِلته برّبّه والعبادات. وقد وظّف كل ما له علاقة بالإنسان، ومن أمثلة ما تجلّى في شعره يقول:

والحاجبان يُزِلْزِلان مَهْزَّةً لَكِنْ أخطر ما بها عَيْنَاهَا<sup>(2)</sup>.

ونجده يذكر الأصابع ويُقِجِم الأنف الذي يشمّ به الروائح الكريهة، فيقول:

|                                            |                                              |
|--------------------------------------------|----------------------------------------------|
| سَيَمُرُّ قُرْبَكَ مَنْ يَمُرُّ وَأَنْفُهُ | بين الأصابع يَتَّقِي لُقيَاكَ <sup>(3)</sup> |
|--------------------------------------------|----------------------------------------------|

(1) محمد جربوعة: اللوح، ص 102.

(2) محمد جربوعة: ممن وقع هذا الزر الأحمر، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص 28.

(3) محمد جربوعة: اللوح، ص 98.

ونجد الشّاعر يستعمل عضواً آخر من أعضاء الإنسان، إذ يقول:

والهَجْرُ يفعل في ضُلُوعِ مُحِبِّهِ      ما تفعل النيران بالأخشاب

لقد جعل الشّاعر الضُّلُوعَ مَحْطاً وَمَكَبّاً الأُحْزَانِ والهِمُومِ، فهو العضو الذي يتأثر بألم الهُجْران والوداع، وقد شَبَّهه الشّاعر بالخشب الذي تُصيبه النَّارُ فيُذْنِ ويستسلم لها، إذ تُحرقه وتزيل وجوده وتقضي عليه لتجعله رماداً، فكذلك الضُّلُوعُ تحترق وتشكو وتَبْنُ بِنَارِ الفراق، إذ شَبَّه الضُّلُوعُ بالأخشاب<sup>(1)</sup>.

ويُبين الشّاعر في موضع آخر أثر الفراق وما يتركه من وجع وأنين للقلب، إذ يصبح القلب ضعيفاً وشيخاً لا يقوى على العيش، يقول:

يَشِيخُ القلبُ في عام      من الأُحْزَانِ والهِمِّ  
ويغزو الشَّيْبُ لِحْيَتَهُ      بلون اللَّيْلِ والفحم  
ومافي القلب مُتَكأً      من الغُصُروفِ والعَظَمِ  
له أيضاً تَجاعيد      وتاريخ من الإثم<sup>(2)</sup>

نوع "محمد جربوعة" في شعره الألفاظ والكلمات التي تصبُّ في الحقل الدلالي لكلمة "إنسان"، حيث ربط أعضائه بالعواطف والأحاسيس والأخلاق وبكل ما له علاقة بالإنسان، ومن أمثلة ذلك ما نعرضه:

القلب، الدَّقَات، التَّبَضُّات، الوجه، الجبين، العُرُوق، الرأس، العُنُق، الكفّ، الكبد، القَدَم، الظَّهْر، الأسنان، اللِّسان، الإبهام، الثَّغَر، الحِجْر، المُحَيَّا، الأشْفار، الأنف، الخَدّ، المُقْلَتَيْن، الغُدَد، الأعصاب، الجَفَن، الذَّرَاع، الرُّوح، البُؤْبُؤ، الأحشاء، الأَشْلَاء، الضَّرْس، الخَصِر، الرِّقْبَة، المُنْكَب، المعصمين، السَّاعدين ... إلخ.

ربط الشّاعر أعضاء الإنسان بالمشاعر والصِّراع الدَّاخِلِي الذي يسكن النَّفْس، حيث جعل القلب موطن الأسرار ومقبرة الأُحْزَانِ وماذا الأفكار السَّلبِيَّة وحَتَّى الإيجابيَّة، ومُراجعة

(1) محمد جربوعة: ثم سكت، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، 2014، ص 181.

(2) المصدر نفسه، ص 156.

النفس والحوار الداخلي الذي يتعلّق تارة بمشاعر الحزن وتارة بالفرح. ثم لا ننسى أنّ الحبّ منبعه القلب، وتشترك في ذلك العيون وتتلقّظ له الشّفاة، فهذا ما جعل الشّاعر يربط بين الأعضاء الحسيّة الداخليّة والخارجيّة بالأحاسيس والعواطف.

### حقل المرأة:

تغني "محمد جربوعة" بالمرأة وأعطاهما حقّها ونصيبها والتفت إليها في أشعاره، فنجدّه يضعها في مكانة رفيعة وعالية، وهذا لاشكّ في هذا، كونه عارفاً مكانتها في الدّين الإسلاميّ، وذكر كلّ ما له علاقة بها مادياً أم معنوياً. ومن ما قاله عن المرأة:

|                                         |                             |
|-----------------------------------------|-----------------------------|
| كفراشة من روضة تتخيّر                   | فتحت خزانتها، وراحت تنظر    |
| وبأي ثوب كيّ يجنّ ستظهر                 | ماذا ستلبس للقاء به غدا     |
| يبدو بسيطاً ساذجاً لا يسحر              | ماذا ستلبس؟ كلّ ثوب عندها   |
| لتميت من في البال دوماً يخطر            | يبدو أقلّ من الذي تحتاجه    |
| الشّاعر اللّبق الأنيق الأشهر            | وغدا تكون له هنا أمسية      |
| وأهم شيء للنساء المظهر                  | والثوب عنوان الفتاة، وذوقها |
| وخصوصيات لا تُقال، وعنبر <sup>(1)</sup> | مصروفهنّ ملابس وحقائب       |

صوّر الشّاعر في هذه المقطوعة جانباً من جوانب اهتمامات المرأة بنفسها، كيف أنّها تُبَيّن نفسها وتختار ما يناسبها بعناية، أموراً تتعلّق بالمظهر واللباس، حيث ركّز الشّاعر على كيفية انتقاء المرأة للفسّتان المناسب الذي سيؤثر في من تلقاه، فهي في حيرة من أمرها، لأنّها لا تريد فستاناً عادياً، بل فستان لقاء خاصّ، فستاناً يسحر ألباب المحيّن. ثمّ إنّ أشدّ اهتمامات المرأة أن تبدو بمظهر يليق بها وبالمناسبات الخاصّة.

ويعود الشّاعر في موضع آخر ليبيّن مدى اهتمام المرأة الحائرة أمام خزانتها، التي لم تستطع اختيار الفستان المناسب ليصوّرها أمام المرأة وهي تتزيّن لتظهر في أبهى صورة، يقول "محمد جربوعة":

(1) محمد جربوعة: ممن وقع هذا الزر الأحمر، ص 105، 106.

وتعودُ للمرأة، تضبطُ شكلها وتُرتبُ المكياجَ في إعجاب<sup>(1)</sup>

- ويقول أيضا في المرأة:

أنا لستُ أنكرُ أنها جذابة ممشوقة كالخيزران بقديها  
والبدرُ يُولدُ في ضفاف عيونها والشَّمسُ تُشرقُ ربّما مِنْ عِنْدِها

يتغنى الشاعر بجمال المرأة وبرقتها وحسنها، وقد شبهها بالخيزران، ذلك لمرونته وشدة خضبرته وجماله، ثم يُشبهها بالبدر في ليلة قمرية يُنير ما حوله، ثم يتعرض لوصف عينيها فيصفهما بالكبر والاتساع، وهذه الصفة تدلّ على جمال المرأة. وبعدها يعمد الشاعر إلى وصف المرأة بالشمس لحظة الإشراق وبعث النور وانتشار الضياء، وهذا كلفة ليبيّن شدة جمالها وروعته.

أبرز "محمد جربوعة" في أشعاره تغزله بالمرأة حسياً ومعنوياً، فصورها بأجمل الصور وذكر حياءها ودلالها وذوقها وحبها للحياة وجرأتها وحتى غرورها، وبالتالي فالشاعر لم يغفل حتى عن الأشياء الصغيرة المتعلقة بالمرأة وجمالها وبأنوثتها.

ومن بين ما ورد من كلمات وألفاظ خاصة بزينة المرأة وطريقة تزيينها والأدوات المستعملة في ذلك نجد:

- الملابس: الخمار، الشّال، الفستان، الإزار، السّاري، الثوب، الحجاب، النقاب، الجلباب، الحرير، القمصان، الكّان ... إلخ.

- الحلي والمجوهرات: الأحجار، الأساور، طوق الزمرد، الخاتم، الفيروز، المشبك، اللؤلؤة، الذهب المصقّى، الزبرجد ... إلخ.

- العطور: الصّابون، البخور، ماجيستي، الغنبر، الكولونيا، الجاوي ... إلخ.

عموماً لقد أعطى الشاعر "محمد جربوعة" المرأة حقها في قصائده، فتغنى بها وجمالها، وذكر كلّ التفاصيل المتعلقة بها وبزینتها وأناقته وأنوثتها، وشبهها بصور نمطية كانت بارزة عند الشعراء الجاهليين، فشبهها بالشمس وبالخيزران، كما شبه عيونها بضفاف

(1) محمد جربوعة: مطر يتأمل القطة من نافذته، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، 2014، ص 77.

الأنهار ليبرز جمالها، فالشُعراء القُدامى كانوا يُشبهون المرأة بأجمل ما وقعت عليه أعينهم لإظهار المثل الأعلى للجمال، وهذا ما عمَدَ إليه شاعرنا.

### حقل الطَّبِيعَة:

عمَدَ الشَّاعر إلى توظيف ألفاظ الطَّبِيعَة وعناصرها وخدمة للمعاني والدلالات، ولقد أعاد ألفاظاً معيّنة ليُعطي بها دلالات خاصّة، وليُفي إيقاعاً مميّزاً في شعره، وهذا كان قد سبقه إليه الشُعراء، الذين اتَّخذوا الطَّبِيعَة ركيزة أساس عندهم. ومن بين ما ورد عند "محمد جربوعة":

يقول النَّخل في البَحْرين  
لن نَنسى وصيَّتَه  
وقانا الحَرَقَ  
وقال السَّرو والزَّيتون  
وما أوفاك يا النَّخلُ  
جذع الزُّهور والبُلُوط  
في غابة (أنغولا)<sup>(1)</sup>

وفي المقطع العشرين من قصيدة "قدر حبه" يتعرض لوصف الطَّبِيعَة، إذ يقول:

تُحبُّهُ الزهور والنجوم والأفعال والأسماء والإعراب  
والسَّطور والأقلام والأفكار  
يُحبُّهُ الجُوري والنَّسرين والنَّوار  
يُحبُّهُ النَّخيل والصَّفصاف والعَرعار  
يُحبُّهُ الهواء والخريف والرَّماد والتُّراب والغبار  
تُحبُّهُ الهائم العَجَماء في رحمته

استعمل الشَّاعر كلمات تدلّ على حقل دلاليّ واحد، وهو حبّ المخلوقات لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم، فكلُّها تُحيّيه وتُريد لُقياءه، وهذا ما تجلّى في كلمة "الحُبِّ"، الّتي تكرّرت في الأسطر الشَّعرية أكثر من مرّة (تُحبُّهُ، يُحبُّهُ، يُحبُّهُ، يُحبُّهُ، يُحبُّهُ).

(1) محمد جربوعة: قدر حبه، ص 158.

ونجد الشاعر يُشيدُ إلى النَّبيِّ مُحَمَّد، ليس منه، وإنَّما على لسان المخلوقات:

|                                               |                                                   |
|-----------------------------------------------|---------------------------------------------------|
| قال النَّدى للورد: ((ما أحلاه))               | فأجابه: ((سُبْحان من سَواهُ))                     |
| بَكِيًّا بِقَدْرِ الشَّوْقِ فِي قَلْبِهِمَا   | وَتَهَامِسا: صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ              |
| يَتَدَفَّانَ بِذِكْرِهِ فِي لَيْلَةٍ          | شَتْوِيَّةٍ .. وَكِلَاهُمَا يَهْوَاهُ             |
| كَانَا وَكَانَ الْغَيْمُ يَعْبُزُ خَاشِعًا    | مِنْ فَوْقِ مُرْجٍ مَرَّقَتْهُ الْآهُ             |
| وَالْغَيْمُ يَبْقَى -قِيلَ- طَوِيلَ حَيَاتِهِ | يَطْوِي دُرُوبَ اللَّيْلِ كِي يَلْقَاهُ           |
| وَالْكَلِّ مُشْتَاتٌ وَيُخْفِي عِشْقَهُ       | بِضُلُوعِهِ، وَيُعِينُهُ مَوْلَاهُ <sup>(1)</sup> |

من خلال هذه المقطوعة يُعْظِمُ الشَّاعِرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُبَيِّنُ مَكَانَتَهُ فِي الْكُونِ، بل بين سائر المخلوقات، فكلُّها تُحِبُّهُ وَتَعِشُّقُهُ، وهي منزلة رفيعة حَبَّاهَا رَبُّنَا لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ، فاسم "مُحَمَّد" و"أحمد" تعرِّفُهُ كُلَّ المخلوقات، فالنَّدى يَهْمِسُ للورد، ويعبِّرُ عن حُبِّهِ وَشِدَّةِ إعجابه بالنَّبِيِّ، والورد هائم بِحُبِّهِ وَيُسَبِّحُ رَبَّهُ من حلاوة النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَحَتَّى الْغَيْمِ، وَالْكَلِّ يَسَبِّحُ رَبَّهُ كَرَامَةً لِنَبِيِّهِ "أحمد".

من خلال قراءة أشعار "محمد جربوعة" نجده مُتَأَثِّرًا أَيْمًا تَأَثَّرَ بِالطَّبِيعَةِ وَكُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِهَا، وبكل مكوِّناتها، وقد أسهب في ذكرها وتردَّدت بكثرة، ومن أمثلة ذلك:

- الأزهار: الياسمين، الكاميليا، الفُرْنَفَل، الفلّ، البنفسج، النّوار، الأوركيد، الجُوري، شقائق النعمان، الأقحوان ... إلخ.

- التّبات: العُشب، القمح، الفول، النّعناع، الأَشُوْك، الشَّيْخ، الشَّعِير، الصَّبَّار ... إلخ.

- الماء: الماء، البحر، التَّهْر، الثَّلَج، المطر، الغَيْث، الموج، الرِّذَاذ، الجليد، السَّحاب، الْغَيْمُ وَالْغَمَام، النَّدى ... إلخ.

- الحيوانات: الرِّيم، الظَّي، الأَرْنَب البرِّي، السِّبَاع، اللَّبْؤة، الحمام، الدَّجَاج، البُلبُل، الصَّقْر، الطَّاوُوس، العَصافير، الكناري، البَجَع، الشَّحُور، العندليب، النّعام، الهَزَار، النَّمْل، الفراش، الدُّود، القِطَّة، الفرس والخيَل، النّاقَة ... إلخ.

(1) محمد جربوعة: قدر حبه، ص 104.

- الكواكب: القمر، الشَّمس، الأرض، النّجم، الأقمار، الكون.

جعل الشّاعر من عناصر الطّبيعة ملاذاً له، يعزّزُ بها حالاته الشعورية المتضاربة أحياناً، فجعلها وسيلة ليخلق بها صوره وخياله ويسقطها على نفسه ونفسيته غير المستقرة، فطوّع حقل الطّبيعة في أشعاره ومزّجه بالحالة الشعورية أثناء نظمه لقصائده.

### حقل الأحاسيس والعواطف:

صنع الشّاعر حقلاً دلاليّاً خاصّاً في قصائده، يعزّزُ به عن أفكاره وعن حالاته الشعورية، فهو كغيره من النّاس ... يفرح، يغضب، ينفعل ...، وهذا ما جعله يوظّف المعجم النّفسيّ، ولا طالما استعمل كلمات ذاتها لتعبّر عن واقعه أو واقع المجتمع، فنجدّه يُكثّر من كلمة "القلب"، فتارة يستعمله للتّعزّل وتارة للتعبّد، وتارة أخرى للحُزن والألم. يقول "محمد جربوعة":

|                                                     |                                 |
|-----------------------------------------------------|---------------------------------|
| نشكو ونمسحُ عينيه بأيدينا                           | نامَ الجميعُ ودامي القلبُ يُبكي |
| وكيّهُ الهجر عُرْفُ في بوادينا                      | كُحلُ المناديلِ إرثٌ في قبايلنا |
| من قيسٍ ليلي فمّا أشقى المُجَنِّبِنا <sup>(1)</sup> | وسكتة القلبِ في العُشّاقِ ظاهرة |

ونراهُ يتغلّزُ في إحدى قصائده بالمحبوبة ويعبّر عن مشاعره الجياشة القوية التي لم يستطع كبحها، يقول:

|                                       |                           |
|---------------------------------------|---------------------------|
| نشكو ونمسحُ عينيه بأيدينا             | ستدريّن يوماً بأنّي خجولٌ |
| أدازي وأكتمُ حُبّك فيّ وأنفي          | وإذا سأل النّاسُ عنك      |
| وأقرأ شعرك سرّاً بجوفي <sup>(2)</sup> | أحبك بيني وبينه كثيراً    |

وقد شبّه الشّاعر الحبّ بالمرض العُضال المزمن الفتاك الذي يسكن جسد صاحبه، فكَذلك الحبّ مرض يفتك بالجسد والروح ويعذبها. يقول الشّاعر:

|                                          |                           |
|------------------------------------------|---------------------------|
| ولأخذ حُقنة المرض العُضال <sup>(3)</sup> | وكيفَ مددتُ في دعةٍ ذراعي |
|------------------------------------------|---------------------------|

(1) محمد جربوعة: ثم سكت، ص 162.

(2) المصدر نفسه، ص 133، 134.

(3) محمد جربوعة: ممن وقع هذا الزر الأحمر، ص 172.

- الحُبُّ: الحبّ، الغزل، الهوى، العواطف، العشق، الوصال، الميل، الجنون، الغمزة، العاشق، الغرام، الشّوق، الحنان، الهمام، الصّباية، الحسن، اللّهفة، العذري، القلب، العزيز، المعشوق، الفؤاد، القليب، الحنون، الإغراء، تحبّه، يحبّه، نحبّه، الوله، الوصب، التّباريح، الشّجن، الكمد... إلخ.

- الفرح: الفرح، الهدوء، السّعادة، البسمة، الرّقص، الحظّ، الضّحك، الرّضى، الغناء، تعجب، تروق ... إلخ.

- الحزن: الحزن، اللّوعة، الكآبة، الأرق، الدّاء، الوداف البكاء، النّسيان، مهمومة، الضّياح، الأتین، الجرح، الموت، الصّدمة، الصّداغ، المصراع، الدّم، التّلف، الإحراق، الجنّازة، الرّبو، المواجه، الانكسار... إلخ.

- الكراهية: العتاب، النّأي، الغضب، المكر، الضّغط، النيران، الرّفص، تريك، السّبّ، الجيطة، الهوان، الحسد، الظّلم، الانفجار، الاحتراق، الغدر، الرّفص، الهلع، الهوان، الشّكّ، الكيّة، الكره ... إلخ.

يُكثر الشّعر من لفظة "الحبّ" في قصائده، ففي قصيدة "قَدَر حُبّه" أعادها كثيراً، فنجدُ الفعل "يُحبّه" ورد 18 مرّة، والفعل "تُحبّه" 16 مرّة، والفعل "نُحبّه" 3 مرّات، فيقول مثلاً في المقطع 20:

تُحبّه الزّهور والنّجوم والأفعال والأسماء والإعراب  
والسّطور والأقلام والأفكار  
يُحبّه الجوّري والنّسرين والنّوار  
يُحبّه النّخيل والصّفصاف والعراعر  
يُحبّه الهواء والخريف والرّماد والتّراب والغبار  
نُحبّه الهائم العجماء في رحمته

وفي المقطع 22 يقول في حقل الحبّ أيضاً:

نُحبّه ...

يُحبّه ...

نُحبّه ...

لأننا نستنشق الهواء من أنفاسه  
ودورة الدماء في عروقنا  
من قلبه الكبير في عروقنا تُدار  
نُحبّه ...

لأنه الهواء والأنفاس والتبضات والعيون والأرواح والأعمار

أكثر استعمال الشاعر لفظة "الحب"، خاصة وأنه يُعبّر عن شعوره اتجاه خير الأنام، وهذا ليبين عشقه وهواه بالنبي الكريم، وأنّ حبّه للرّسول راسخ في قلبه وساكن نفسه، وأنّ حبّ الشّاعر له يسري في جسده وفي دمه داخل عروقه، ويستعمل الفعل مع مجموعة من الضّمائر (هي، هو، نحن ...)، وهذا ليدلّ على الشّخصية العظيمة غير العادية التي يُعطيها أهمية بالغة في شعره.

### حقل أسماء الأماكن والبلدان:

انتقل الشّاعر "محمد جربوعة" إلى الكثير من الأماكن والبلدان، فلا عجب أن نجد في أشعاره أسماء للأماكن التي عرّج عليها، فالشّاعر ينقل لنا تاريخها وحقائق عن كلّ مكان أو بلد زاره. ومن أسماء الأماكن التي ذكرها في شعره "مكة المكرمة"، يقول فيها:

ذات القطيفة والجباب الأكحل      يا كعبة البيت العتيق الأول  
أحلى إماء الله في جلبابها      أرقى مطهرة بأطهر منزل<sup>(1)</sup>

ونجده يُبرز مكانة "بكة" في قوله:

لا ربّ غير الله  
لا معبود  
لا مقصود بالكفّين  
في وقت الدّعاء  
ثم لا قبلة وجه المرء فيها  
نحو وجه الله

(1) محمد جربوعة: اللوح، ص 51.

غَيْرَ الْبَيْتِ فِي (بَغَّة)

لِلنَّاسِ سِوَاءٍ<sup>(1)</sup>

ينغنى الشاعر بجمال الكعبة الشريفة، ويصفها بالبُقعة الطاهرة والمباركة، ويُبرز مكانتها وقيمتها عند المسلمين جميعاً، حيث يقصدها الآلاف والملايين من كلِّ فجٍّ عميقٍ ليطوفوا حولها ويتمتعوا بجمالها ويستأنسوا بها، وليعيشوا أحلى لحظاتهم وهو يتمتعون بجمال الكعبة وحرَمِها، ولباسِها الأسود الذي يعطيها قداسها ويُظهرها في أبهى حُلَّة.

وبجانب التَّغْيِي بالكعبة الشريفة، يغتنم الشاعر الفرصة لِيُذَكِّرنا بتوحيد الرِّبوبية والألوهية، وعبادة الله وحده دون سواه (لا ربَّ غير الله)، وأنَّ نتجَه بالدُّعاء والتَّضَرُّع والرجاء إلى الله وحده، وخاصة في البيت العتيق (بَغَّة). إلى جانب هذا، نجد الشاعر يستظهر لنا الحكمة من زيارة "مكة"، ألا وهي استشعار وحدة المسلمين، وأنَّ النَّاسِ سواسية، والبيت العتيق قبلة المسلمين ومكان مُقدَّس (غَيْرَ الْبَيْتِ فِي بَغَّة)، (لِلنَّاسِ سِوَاءٍ).

استحضر الشاعر أماكن أخرى في قصيدة "قَدَرُ حُبِّه"، منها العِراقُ وغَزَّة، يقول "محمد جربوعة" في المقطع العاشر:

نُحِبُّه مَنَابِرُ حَطَمَها الغَزاةُ في آهاتِها

في بَصرة العِراقِ

أو في غُرُوزِني

أو غَزَّة الحِصَارِ

يربط الشاعر الأماكن التي يستحضرها في هذه المقطوعة بالدين الإسلامي، خاصة وأنَّ هذه الدَّول والأماكن مُسلمة، وكيف أنَّهم يُحِبُّون النَّبِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعشقونه، ويربطها بالمعاناة التي يعيشها المسلمون هناك، وكيف أنَّ الاحتلال والمستعمر دَمَّرَ وخَرَّبَ وعاثَّ في الأرضِ فساداً، ما كانت تُعانيه مدينة "غُرُوزِني" (عاصمة الشَّيشان) من الانقلاب الدَّاخِلِيّ من قبل متمرِّدين روسيين، وغَزَّة التي عانت تحت الحِصار والألم.

ومن جهة أخرى يدعو الشاعر إلى الوطنية والانتماء القومي، بضرورة حبِّ الوطن والشَّعُور بالأمان في حُصنه، يقول عن الوطن:

(1) المصدر نفسه، ص 93.

أنا في الجزائر، في كُلِّ حَيٍّ      أجوبُ شوارعها وأنادي:  
تعالِي لِنُقْنِعِ طِفْلاً جميلاً      بالألّا يخافُ بِحُضْنِ البِلادِ<sup>(1)</sup>

كان للشاعر "محمد جربوعة" تجارب عاشها أثناء سفره وتنقله للعديد من البلدان وعواصمها، فنقل لنا حياة الشعوب وحضارتها وعراقتها وديانها وبعض ثقافتها، وفي كلِّ مرّة يربط جانباً من جوانب الحياة، فنجدّه في البلدان العربيّة يَتَغَيَّ بالدين الإسلاميّ وبالمسلمين شدّة حُبهم للدين وللرسول الكريم، وتارة يربطها بالعروبة والانتماء، وفي أحيانٍ أخرى يُبيّنُ معاناة وتضحية الشعوب العربيّة من الاحتلال، فيربط هذا الجانب بمشاعره وعواطفه، فينتقل من حالة شعورية إلى حالة أخرى حسب المقام، ونراه يتألّم ويتحسّر على الدمار الذي تتعرّض له البلدان الإسلامية. كما يدلّ استعمال الشاعر لحقل الأماكن والبلدان على انفتاحه وثقافته الواسعة بين الأقوام والجنسيات.

### خاتمة:

من خلال قراءتنا المتواضعة لمختارات من شعر "محمد جربوعة" وتتبّعنا للحقول الدلالية التي وظّفها في قصائده ودواوينه، فإنّنا نلمس ما يأتي:

- لقد نوّع الشاعر في الحقول الدلالية وجعلها خادمة له وطوّعها على حسب موضوعاته وحالاته الانفعالية.
- غلبة ألفاظ حقل الدين، ذلك لأنّ الشاعر جزائري مسلم، مُطَّلِعٌ على دينه، ويحبُّ سنّة نبيّه، الّتي تغنّى بها في أشعاره.
- جاء توظيف حقل العواطف والمشاعر في المرتبة الثانية، ذلك لأنّ الشاعر مُرهِف الحسّ، رقيق المشاعر، فلم يستطع الشاعر كَتْم مشاعره، فصبّها في أشعاره، وتنوّعت بين الفرح والحزن والألم.
- ربط "محمد جربوعة" حقل الإنسان بالدين الإسلاميّ، من خلال أداء العبادات ومدى إخلاص الإنسان لربه ورفع الكفّين ...، ومن جهة أخرى نراه يتغلّز بالمرأة، مُستغلاً حقل الجسد ظاهراً وباطناً للتعبير عن أفكاره وهواجسه.

(1) محمد جربوعة: ممن وقع هذا الزر الأحمر، ص 34.

- كان لحق المرأة حظاً في قصائد الشاعر، ذلك لأنّه وصفها بالشمس واللبؤة وبأوصاف أخرى، مظهرها جمالها ورقّتها وأنوثتها ودلالها، حتّى أنّه ذكر كلّ الأشياء المرتبطة بالمرأة.
- من الملاحظ أنّ الشاعر وظف ألفاظاً دالّة على حقل الطّبيعة، فقد تأثّر بالشّعراء الأوائل في التّغني بالطّبيعة وعناصرها، وقد ربطها بحالته الشّعورية.
- بما أنّ الشاعر سافر إلى العديد من البلدان، نجده لم يغفل عن توظيف أسماء الأماكن والبلدان، ذاكرها حالها وأحوالها، مُتغنياً بعروبيتها.

## المراجع:

### المراجع العربية:

- 1- محمد جربوعة، اللوح، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2014.
- 2- محمد جربوعة، ممن وقع هذا الزر الأحمر، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، الجزائر، 2014.
- 3- محمد جربوعة، ثم سكت، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، 2014.
- 4- محمد جربوعة، مطر يتأمل القطعة من نافذته، ط1، البدر الساطع للطباعة والنشر، 2014.
- 5- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، مكتبة عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998.
- 6- إبراهيم خليل، في النقد والنقد الألسني، عمان، 2002.
- 7- علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986.
- 8- عهود عبد الواحد، الصور المدنية، دراسة أسلوبية، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 1999.
- 9- منقور عبد الجليل، علم الدلالة، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001.